مضطهديه في الواقع الاسرائيلي عام ١٩٦٠/١٩٦١. ولا شك ان ايهود بن عيزر قد استخدم شخصية شاطوف في رواية دستويفسكي لكي يوحي للقارىء مقدما بالنتيجة المتوقعة لبطله بوليك ... الانتحار على مذبح الواقع الاسرائيلي .

ومن الاشياء المحورية في الرواية ذلك الصراع الذي يدور في داخل نفس بوليك حينما يتم استدعاؤه من حين لاخر للاحتياطي : « انني احلم في كل ليلة بأنهم يجندونني باستدعاءات مفاجئة ، ويجعلونني اجري فوق التلال ويعذبونني » (ص ٢٢) ومرة اخرى : « لقد حكى بوليك ان لديه ضائقات مع الاحتياطي . انهم لا يتيحون له الدراسة ولا يدعونه يعمل في بحثه . ويتهيأ له احيانا انهم ينتقمون منه » (١٣٨) . واحيانا يناقش هذه القضية بينه وبين نفسه محاولا الفصل بين مشاكل الاحتياطي وحالته الشخصية : « اليس العرب والاحتياطي ذريعة رخيصة لذلك الخواء الذي في الكائن الحي ؟ » (ص ١٧٤) . وفي ذروة المأساة ، حينما كان يفكر فيما اذا كان يذهب الى المحلل النفسي ام لا يقول لنفسه : « كيف سيكون واثقا مما اذا كان يبحث عن الهدوء لنفسه ام يبحث فقط عن ذريعة لكي يتهرب من واجبه كجندي ؟ » .

وبن عيزر الذي بدأ كتابة روايته في عام ١٩٦٣ ، وانتهى منها في عام ١٩٦٩ يحاول ان يضفي صفة الاصالة على الخلفية التاريخية في الرواية فكدسها بالكثير من تقارير الصحافة الاسرائيلية عن « القضية » وتطوراتها وملأها بالكثير جدا من التفاصيل عن هذه الفترة . ويشبه هذا الامر من يكتب رواية عن الثورة الفرنسية وينقل فيها صفحات كاملة من مناقشات الجمعية الوطنية الفرنسية .. الخ . وهذه المادة الوثائقية تزيد من الارهاق الذي يصاب به القارىء خلال قراءة الرواية ، وتجعل من الوثائقية أمرا محل شك . واذا كان بن عيزر قد اراد بذلك ان يجعل من الرواية وثيقة تاريخية ، فانه قد فشل في هذا وذلك لانه استخدم المواد الخام التاريخية دون ان يجعلها تخضع لعملية تكرير ادبية . و« البرينرية » (نسبة الى حييم برينر) الموجودة عند بوليك شومرون بطل الرواية هي وضع نفسي وعقلاني . وقد جاء « الجنون الداخلي » عند بطل « ليست الحرب للابطال » من أجل التمويه على حقيقة ان بن عيزر يتناول بجدية مطلقة تلك الاقوال التي يضعها على لسان بوليك ، وان بوليك هو بن عيزر ، وهنا يثور الاحساس بأن بن عيزر لم يكتب الرواية من خلال الواقع بل من خلال الادب وبطله يعيش في عالم من القضايا الادبية ، ويقوى هذا الاحساس حينما يتضح ان بوليك شومرون يعيش بالفعل في « وسط » مقالات بن عيزر عن مشاكل الادب العبري الحديث ، وانعكاس الواقع الاسرائيلي في هذا الادب ، وان بوليك يقتبس أقوالا من مقالات بن عيزر ، ومن سلسلة المقابلات التي نشرها في حينه في مجلة « موزنايم » (الميزان) تحت عنوان « ثمن الصهيونية » الخ .. وقد كتب بن عيزر بحثا عن المرحلة التي اصبح العرب في نهايتها في الادب العبري بمثابة « كابوس وجودي » ، وقد تناول وجهة النظر هذه بجدية ، ودون ان يميز بين تطورات الموضوع الادبي من خلال الاحتياجات الفنية ، يفترض بالفعل ان القضية العربية في الادب العبري تعكس الوعي التاريخي في المجتمع الاسرائيلي .

ونظرا لان بطل بن عيزر يعيش في داخل الادب ، وليس في داخل الحياة ، (وذلك لان موضوع الحياة كان بمثابة خلفية لتبرير المصير الذي حدده بن عيزر سلفا لبطله بوليك وهو الموت وأخذ يسعى الى تحقيقه بأي وسيلة) ، فان هذه الشخصية جاءت باهتة ، ولا تحوي الافكار التي يطرحها اي شيء مفاجيء او جديد . والجرأة التي تحويها هذه الافكار ، (استنكار الانسحاق الذي يفرضه وضع اسرائيل الامني على الفرد في اسرائيل ، ونبذ كل ما يترتب على ذلك ومحاولة الهروب منه ، وتعرية الديموقراطية الزائفة .. الخ) ، هي بالفعل ، من الاشياء التي اصبحت معهودة في كل التناول الادبي الاسرائيلي لمثل هذه القضايا ، وخاصة في الادب العبري اعتبارا من الستينات . ويبدو احيانا ، أن بن عيزر قد حاول ان يكون سيموجراف ادبي لاتجاهات موجودة في المجتمع الاسرائيلي . وفي نهاية الامر ، فانه مما لا شك فيه ان ايهود بن عيزر قد نجح في كتابة رواية اجتماعية نفسية يظهر فيها بوضوح الجهد الايديولوجي العقلاني من أجل تعرية الواقع الاسرائيلي بكل عوراته وخباياه خلال الستينات ، وان كان هذا قد طغى على الكيفية الادبية التي كان من المفروض ان يوجهها لهذا العمل الروائي .

رشاد الشامي